بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

يقتضى الدخول إلى بناء الإسلام أن نمر من باب واحد هو الشهادة التى هى الركن الأول فى الإسلام.

وهذه الشهادة تتكون من شطرين: شهادة أن لا إله إلا الله، شهادة أن محمداً رسول الله..

ولا يقبل الأخذ بشطر من هذين الشطرين دون الآخر..

ومن هنا كانت مصدرية الشريعة واحدة وهى الوحى، والوحى أيضًا شطران: الوحى المتلو وهو القرآن، والوحى غير المتلو وهو السنة..

فلا مجال إذن لإنكار السنة، ولا يُعقل - فى منهج الإسلام - أن نكتفى بالقرآن فستغنى به عن السنة..

لأنهما - كليهما - وحى من الله: أحدهما ينزل مجملاً فيفصله الآخر، أو مطلقًا فيقيدة الآخر، أو عامًا فيخصصه الآخر..

وقد فهم ذلك أحد التابعين فقال: «والله ما نريد بالقرآن بدلاً، ولكن نريد من هو أعلم بالقرآن منا».

يقصد بذلك الرسول الذى يبين للناس ما نزل إليهم، ومن هنا أيضًا فلم يعد المسلمون يحتاجون للتدليل على حجية السنة ومنزلتها من القرآن، إذا عرف الناس المنهج الإسلامى، وطبيعة العلاقة بين القرآن والسنة.

لكن المسلمين يحتاجون إلى الإيمان بأهمية الحفاظ على السنة حفاظهم على بناء الشريعة وحمايتها من سهام المبطلين..

وبناء على ذلك تأتى أهمية الكتابة فى علوم السنة وعلوم الحديث، وهذه الكتابة تحقق هدفين:

الهدف الأول: تعريف المسلمين بمصدر رئيسى لأحكام الشريعة التى خوطبوا بحملها فى نفوسهم وحملها إلى غيرهم.

الهدف الثانى: الرد على شبهات المشككين فى السنة من أعدائها المضلين ومن أصدقائها الجاهلين..

والذين يستعرضون علوم السنة وعلوم الحديث يجدون أن هذا العلم «موثّق».

وأن منهج الدراسة فيه منهج علمى منطقى يصلح أن يطبق فى كثير من المعارف «التوثيقية»..

فهذا العلم يدرس ما يسمى «بالسند» وهو الوسيلة لنقل «المتن».

وحول هذه الجزئية يظهر: علم الرجال - الجرح والتعديل - ويدرس ما يسمى «بالمتن» فيتعرض للرواية، ويعرض «مضمون» الحديث على قواعد كلية عامة.

ويظهر فى هذا المجال أيضًا ما عرف بالتعارض والترجيح، وهو وإن كان مبحثًا أصوليًا فى حقيقة الأمر، فقد حرصت على تقديمه ضمن مباحث الكتاب لنفى التعارض الحقيقى فى نصوص السنة.

ومن ثَمَّ فقد قسمت هذا الكتاب إلى قسمين:

القسم الأول: علوم السنة.

القسم الثانى: علوم الحديث.

وإذا لم يكن هذا الكتاب جديداً فى موضوعه بعد أن تناوله كثير من العلماء، فإننى أرجو أن يكون إسهامًا فى التذكير بحق ننساه، والتثبيت لحقيقة يحاول البعض زعزعة أركانها..

«والله يقول الحق.. وهو يهدى السبيل»